

طرق البحث الاجتماعي

أ.م.د.مجيد هادي صالح الحمداني

المحاضرة الأولى

العلم والمعرفة

العِلْمُ الجمع: العُلُومُ، باللاتينية Scientia أي «المعرفة»^[1] هو أسلوب منهجي لبناء وتنظيم المعرفة في صورة تفسيرات وتوقعات قابلة للاختبار.^[2] (1)(2) يرتكز مفهوم العلم على مصطلح المنهجية العلمية الذي بدوره يدرس البيانات ويضع فرضيات لتفسيرها ويختبرها وكل هذه العملية للوصول إلى معرفة قائمة على التجربة والتأكد من صحتها بدل التخمين.

يمكن تتبع جذور العلوم الأولى إلى مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين في قرابة 3500 إلى 3000 سنة قبل الميلاد. شكلت مساهماتهم في الرياضيات وعلم الفلك والطب والفلسفة اليونانية الطبيعية للعصور الكلاسيكية القديمة، حيث بُذلت محاولات رسمية لتقديم تفسيرات للأحداث في العالم المادي بناءً على أسباب طبيعية. بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية، تدهورت المعرفة اليونانية في أوروبا الغربية خلال القرون الأولى (400 إلى 1000 للميلاد) في العصور الوسطى ولكن جرى الحفاظ عليها وتطويرها في العالم الإسلامي خلال العصر الذهبي الإسلامي. انتعشت وتُرجمت الأعمال اليونانية وأضيفت إليها الملاحظات الإسلامية لما أصبح اسمها الفلسفة الإسلامية وانتقلت إلى أوروبا من القرن العاشر إلى الثالث عشر مما أحيى «الفلسفة الطبيعية» والتي تحولت لاحقاً بواسطة الثورة العلمية التي بدأت في القرن السادس عشر لتجديد الأفكار والاكتشافات التي بدورها أزاحت المفاهيم والتقاليد اليونانية السابقة، واستبدلتها بالمنهجية العلمية. سرعان ما لعبت الطريقة العلمية دوراً أكبر في تكوين المعرفة، ولم يبدأ ظهور العديد من السمات المؤسسية والمهنية للعلوم حتى القرن التاسع عشر؛ إلى جانب تغيير «الفلسفة الطبيعية» إلى مفهوم «العلوم الطبيعية». «ينقسم العلم الحديث عادة إلى ثلاثة فروع رئيسية تتكون من العلوم الطبيعية (مثل الأحياء والكيمياء والفيزياء)، والتي تدرس الطبيعة بالمعنى الأوسع؛ العلوم الاجتماعية (مثل الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع)، التي تدرس الأفراد والمجتمعات؛ والعلوم الشكلية (مثل المنطق والرياضيات وعلوم الحاسوب النظرية)، التي تدرس المفاهيم المجردة. هناك

خلاف، حول ما إذا كانت العلوم الشكلية تشكل في الواقع علمًا لأنها لا تعتمد على أدلة تجريبية. وتوصف التخصصات التي تستخدم المعرفة العلمية الحالية لأغراض عملية، مثل الهندسة التطبيقية والطب، بأنها علوم تطبيقية.

يعتمد العلم على الأبحاث التي تجرى عادة في المؤسسات الأكاديمية والبحثية وكذلك في الوكالات الحكومية والشركات. أدى التأثير العملي للبحث العلمي إلى ظهور سياسات علمية تسعى إلى التأثير على المؤسسة العلمية من خلال إعطاء الأولوية لتطوير المنتجات التجارية والأسلحة والرعاية الصحية وحماية البيئة.

تاريخ العلم

العلم بالمعنى الواسع كان موجودًا قبل العصر الحديث وفي العديد من الحضارات التاريخية. العلم الحديث متميز في منهجيته العلمية، لذلك يعرف الآن العلم بالمعنى الدقيق للكلمة. كان العلم بمعناه الأصلي كلمة لنوع من المعرفة، وليس كلمة متخصصة في السعي وراء هذه المعرفة. على وجه الخصوص، كان نوع المعرفة التي يمكن للناس التواصل مع بعضهم البعض ومشاركتها. على سبيل المثال، جُمعت المعرفة حول عمل الأشياء الطبيعية قبل وقت طويل من التاريخ المسجل وأدت إلى تطوير الفكر التجريدي المعقد. يتضح ذلك من خلال بناء تقاويم معقدة، وتقنيات لصنع النباتات السامة الصالحة للأكل، والأشغال العامة على المستوى الوطني، مثل تلك التي استغلت السهول الفيضانية لنهر اليانغتسي بواسطة الخزانات، السدود، والمباني مثل الأهرامات. ومع ذلك، لم يكن هناك تمييز واعي ثابت بين معرفة مثل هذه الأشياء، والتي هي صحيحة في كل مجتمع، وأنواع أخرى من المعرفة المجتمعية، مثل الأساطير والأنظمة القانونية. كانت المعادن معروفة في عصور ما قبل التاريخ، وكانت ثقافة فينتشا أول منتج معروف للسبائك الشبيهة بالبرونز. ويعتقد أن التجارب المبكرة للتسخين وخط المواد مع مرور الوقت تطورت لتصبح كيمياء.

الثقافات المبكرة

لم تكن كلمات ولا مفاهيم «العلم» و«الطبيعة» جزءًا من المشهد المفاهيمي في الشرق الأدنى القديم.^[24] استخدم سكان بلاد ما بين النهرين القدامى المعرفة حول خواص المواد الكيميائية الطبيعية المختلفة لتصنيع الفخار والقشور والزجاج والصابون والمعادن والجص الجيري والعزل المائي؛ كما درسوا فسيولوجيا الحيوان، وعلم التشريح، والسلوك لأغراض إلهية وقدمت سجلات واسعة النطاق

لحركات الأجسام الفلكية لدراستها في علم التنجيم. كان لدى بلاد ما بين النهرين اهتمام كبير بالطب، وتظهر الوصفات الطبية المبكرة في الحضارة السومرية خلال الأسرة الثالثة (لأور) قرابة 2112 ق.م - 2004 ق.م. ومع ذلك، يبدو أن سكان بلاد ما بين النهرين لم يكن لديهم اهتمام كبير بجمع المعلومات حول العالم الطبيعي لمجرد جمع المعلومات، وبشكل رئيسي فقط الموضوعات العلمية التي جرت دراستها والتي لها تطبيقات عملية واضحة أو ذات صلة فورية بنظائهم الديني.

البحث الاجتماعي قدّم الباحثون عدداً من التعريفات المتفاوتة فيما بينها حول البحث الاجتماعي ومن بينها أنّ البحث الاجتماعي عبارة عن استقصاء ممنهج يسعى إلى استقطاب معارف وإضافتها، ويمكن التّوصل إليها بعدة طرق ليتمّ التحقق من صحتها بواسطة الاختبار العملي، كما عُرف البحث الاجتماعي بأنّه استقصاء أو وسيلة منظمة تهدف إلى الوصول إلى الحقائق والقواعد العامة الخاصة بها، ويكون ذلك كله اعتماداً على جمع الشواهد والأدلة التي يسهل على الإنسان التحقق من مدى صحتها.

البحث العلمي أو البحث أو التجربة التّنموية هو أسلوب منظم في جمع المعلومات الموثوقة وتدوين الملاحظات والتحليل الموضوعي لتلك المعلومات باتّباع أساليب ومناهج علمية محددة بقصد التّأكد من صحتها أو تعديلها أو إضافة الجديد لها، ومن ثمّ التّوصل إلى بعض القوانين والنظريات والتنبؤ بحدوث مثل هذه الظواهر والتحكم في أسبابها. أيضاً هي وسيلة يمكن بواسطتها الوصول إلى حلّ مشكلة محددة، أو اكتشاف حقائق جديدة عن طريق المعلومات الدقيقة. البحث العلمي هو الطريق الوحيد للمعرفة حول العالم، فالبحث العلمي يعتمد على الطريقة العلمية، والطريقة العلمية تعتمد على الأساليب المنظمة الموضوعية في الملاحظة وتسجيل المعلومات ووصف الأحداث وتكوين الفرضيات. هي خطوات منظمة تهدف إلى الاكتشاف وترجمة الحقائق. هذا ينتج عنه فهم للأحداث والاتجاهات والنظريات ويعمل على وجود علم تطبيقي من خلال القوانين والنظريات. كلمة بحث من الممكن أن تعرف على أنها مجموعة من المعلومات المحددة ودائماً ما تكون مرتبطة بالعلم وطرق العلم المختلفة. ويستخدم البحث العلمي لإنشاء أو تأكيد الحقائق أو للتأكيد مرة أخرى على نتائج أعمال سابقة، أو لحل مشاكل قائمة أو جديدة، أو لدعم مبرهنة أو تطوير نظرية جديدة. كما قد يكون مشروع بحثي للتوسع في مشاريع سابقة بنفس المجال. ولاختبار صحة الأدوات، أو الإجراءات، أو التجارب، قد تعتمد البحوث على تكرار عناصر من مشاريع سابقة، أو على تكرار المشروع كله. الأهداف الرئيسية للبحوث الأساسية) مقارنة بالبحوث التطبيقية (هي توثيق، واكتشاف، وتأويل، و/أو بحث وتطوير أساليب

ونظم لترقي المعرفة الإنسانية. مناهج البحث تعتمد على فلسفة العلوم، والتي تختلف اختلافا كبيرا ما وبين الإنسانيات والعلوم.

هناك أشكال عديدة للبحث منها البحوث العلمية والبحاث الإنسانية والبحاث الفنية، وبحاث الأعمال التجارية والاقتصادية والاجتماعية، والبحث الممارس، الخ.

نشأة البحث العلمي الإنساني

أول من استخدم هذا المنهج لأساليب البحث هم علماء النفس والاجتماع في القرن التاسع عشر إذا يذكر بعض الدارسين أن أحد علماء النفس ويدعى إرنست فيبر كان أول من حاول قياس نماذج محددة من السلوك البشري في الأربعينيات من ذلك القرن ممهدا الطريق لآخرين تبعوه في استخدام الطريقة ذاتها. ويمكن القول بأن تلك المحاولات الأولى هي التي قادت إلى تأسيس معرفي جيد أدى في بداية القرن العشرين إلى وسم الخطوط العريضة لمعالم البحث العلمي في الدراسات الإنسانية. في تلك المرحلة المبكرة من نشأة هذا النوع من البحوث كانت معظم طرق القياس مقصورة على نماذج محدودة من السلوكيات وذلك نظرا لمحدوية أساليب التحليل وبدائيتها حيث اقتصرت معظم تلك الجهود على استخدام طرق الإحصاء الوصفي المعروف بضعفه في تقرير نتائج بحثية يعتد بها. لم يدم الأمر طويلا بعد ذلك إذا قام علماء الإحصاء بابتكار طرق جديدة ودقيقة في أساليب التحليل عرفت فيما بعد بالإحصاء الاستنتاجي فتحت الباب على مصراعيه للباحثين للدخول في دراسة تفصيلات أكثر واستطاعت تقديم نتائج أدق من ذي قبل وأصبح بالإمكان مع هذا المنهج الإحصائي الجديد أن يتعرف الباحثون على معلومات دقيقة وقيمة في بحوثهم مهما كان حجم مجتمع الدراسة وذلك من خلال النتائج التي يحصلون عليها من العينة ولقد كان لنجاح الدراسات النفسية والاجتماعية في توظيف أسلوب البحث العلمي لخدمتها أثر كبير في توجيه معظم الدراسات الإنسانية إلى الأخذ بهذا النهج.

خصائص البحث الاجتماعي

1- يتميز أن بدايته تكون مجرد سؤال يخطر على بال الباحث، فمن المتعارف عليه أن الإنسان بطبعه فضولي، فيسعى جاهداً إلى التعمق والكشف عن كل ما يثير تساؤلاته ودهشته، فيسلك مختلف الطرق للوصول إلى ما يريد.

2-يسير وفقاً لخطة محددة، إذ يمضي الباحث في بحثه قدماً نحو هدف معين، أي أنّ هناك حاجة معينة يسعى الباحث لإشباعها بواسطة مجموعة من الخطوات.

3-يتطلب ضرورة استعراض المشكلة بأسلوب واضح، حيث يستهل الباحث بحثه بمجموعة من الأسئلة الواضحة والبسيطة التي تشير إلى المشكلة التي يسعى لحلها.

4-يعالج المشكلات الرئيسية بالاعتماد على خلق حلول للمشكلات الفرعية.

5-يعتمد على جملة من الفروض المناسبة، حيث يستند بشكل كبير على ضرورة وضع فروض تتناسب مع المشكلة اليومية التي تواجهه.

أنواع البحث الاجتماعي وتصنيفاتها

عند الحديث عن البحث العلمي، نجد أن هناك مجموعة متنوعة من الأنواع والتصنيفات التي تساهم في توجيه العلماء والباحثين في تحقيق أهدافهم وفهم العالم بشكل أفضل. يتم تصنيف البحوث العلمية بناءً على العديد من العوامل المختلفة، مثل الطريقة المستخدمة في البحث والأهداف المرجوة. في هذه المقالة، سنستعرض بعضاً من أبرز أنواع البحوث العلمية وتصنيفاتها.

1- البحوث التجريبية:

تهدف البحوث التجريبية إلى فهم العلاقة السببية بين المتغيرات. يتم ذلك من خلال تحكم الباحث في المتغير المستقل وقياس تأثيره على المتغير المعتمد. يتم تنفيذ هذا النوع من البحث عادة في ظروف مختبرية منتظمة حيث يمكن التحكم في العوامل المؤثرة الأخرى. يستخدم الباحثون تصميمات تجريبية مثل الدراسات العشوائية والتجارب المعملية للتحقق من فرضياتهم وتحليل البيانات الناتجة.

2- البحوث الاستقرائية:

تعتمد البحوث الاستقرائية على تجميع المعلومات وتحليلها لتوصل إلى استنتاجات عامة. يتم تجميع البيانات من مجموعة واسعة من المصادر مثل الاستبيانات والمقابلات والملاحظات، ويتم تحليلها إحصائياً لتوجيه النتائج والاستنتاجات. يستخدم الباحثون في هذا النوع من البحث تقنيات التحليل الكمي والكيفي لفهم العلاقات والنماذج المختلفة.

3- البحوث التطبيقية:

تهدف البحوث التطبيقية إلى تطوير وتطبيق المعرفة والنتائج العلمية لحل مشكلة محددة في سياق عملي. يتم توجيه هذا النوع من البحث بواسطة الاحتياجات والتحديات العملية، ويسعى إلى تطوير حلول فعالة وتطبيقها في المجالات المختلفة مثل الطب والهندسة والزراعة وغيرها.

4- البحوث التاريخية:

تهدف البحوث التاريخية إلى فهم الأحداث والعمليات في الماضي وتحليلها وتفسيرها. يتم جمع البيانات من مصادر تاريخية مثل المخطوطات والوثائق والسجلات والروايات، ويستخدم الباحثون في هذا النوع من البحث على استخدام المنهج التاريخي وتحليل السياق والأدلة لفهم الأحداث والتطورات التاريخية.

5- البحوث النظرية:

تركز البحوث النظرية على تطوير وبناء النظريات والنماذج المفاهيمية لشرح وفهم الظواهر العلمية. يعتمد هذا النوع من البحث على التفكير المنطقي والتحليل الفلسفي والاستدلال النظري. يهدف الباحثون في هذا النوع من البحث إلى توفير إطار فكري يساهم في تعزيز فهمنا للعالم من حولنا.

تصنيفات أخرى تتعلق بطريقة البحث تشمل البحوث التوصيفية، والبحوث التحليلية، والبحوث التعاونية، والبحوث النوعية، والبحوث التطورية، وغيرها. يعتمد تصنيف البحوث العلمية على العديد من العوامل المختلفة والقواعد المعترف بها في المجتمع العلمي.

1-البحوث الكشفية: هي النوع من البحث الذي يسلك به الباحث عدداً من الطرق للتوصل إلى الحلقات المفقودة في سلسلة أفكاره أو حلول مشكلته بشكل عام، ويتطلب ضرورة وجود ربط وتحليل وتفسير علمي يزيد عمق المعرفة الإنسانية ويمنحها المزيد من الركائز الجديدة.

2-البحوث الوصفية: تتميز بشمولها لعدد من الحقائق الراهنة ذات العلاقة بطبيعة ظاهرة أو موقف ما وتدرسه عن كثب، ولا تركز على مبدأ تأثر متغير ما بمتغير آخر.

3-الشخصية: يشتهر هذا النوع بتركيزه على اختبار الفروض السببية، ويأتي ذلك انطلاقاً من تناوله للأسباب المتفاوتة المساهمة في حدوث ظواهر اجتماعية معينة.

طرق البحث الاجتماعي

المسح الاجتماعي يعتمد الباحث في هذه الطريقة إلى إدخال خطوات المنهج العلمي حيز التطبيق العملي خلال دراسة ظاهرة معينة أو مشكلة اجتماعية سائدة في رقعة جغرافية ما، ليتم استقطاب كافة البيانات والمعلومات ذات العلاقة بصلب الموضوع، ومن الممكن للباحث الاستفادة من هذه الطريقة في أغراض علمية بعد تخضع البيانات للتحليل والتصنيف.

تحظى طريقة المسح الاجتماعي بإمكانية اللجوء إليها في غرض التحقق من صحة فرضية ما، بالإضافة إلى الكشف عن مدى تأثير الدراسة الاجتماعية في المجتمع، كما يتم التعرف من خلالها على رغبات وميول الأفراد والجماعات في المجتمع.

المنهج التجريبي:

تعتمد هذه الطريقة على الرصد والملاحظة العلمية، والاستقراء، والتجريب، والتقييم، والاستنتاج أيضاً سواء كان مباشراً أم غير مباشر ليتم الوصول إلى البيانات وبالتالي المعرفة، ويلجأ الباحث في هذه الطريقة إجراء التحليل الكمي أو النوعي على البيانات. تتسلسل خطوات تطبيق المنهج التجريبي بثلاث مراحل أساسية وهي: الملاحظة لواقعة أو ظاهرة متكررة الحدوث بالأسلوب ذاته، ومرحلة وضع الفروض العلمية وتشمل تحديد التخمينات للعوامل المسببة لحدوث ظاهرة ما، وثالثاً التجريب أو تحقيق الفروض، وتعتبر من أكثر المراحل أهمية نظراً لافتقار الفرض للقيمة العلمية في حال عدم ثبات صحته موضوعاً، وبالتالي يحفز على إجراء التجارب والملاحظة.

دراسة الحالة:

يشيع استخدام هذه الطريقة في الأوساط العلمية والتسويقية، ويذكر أنّها تسلط الضوء على فرد ما أو مجموعة صغيرة في حال كانت الحالة أكاديمية سعياً لتقديم تقرير مفصل دون التعميم على فئة كاملة.

أهمية البحث العلمي وفوائده

إن حاجتنا إلى الدراسات والبحوث العلمية تزداد يوماً بعد آخر، فالعلم في سباق محموم للحصول على أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم التي تكفل الراحة والرفاهية للإنسان وتضمن له التفوق على غيره، فالوظيفة الأساسية للبحث العلمي هي في تقدم المعرفة من أجل توفير ظروف أفضل لبقاء الإنسان وأمنه ورفاهيته.

والبحت العلمي بمناهجه وإجراءاته من الأمور الضرورية في أي حقل من حقول المعرفة. وأصبح الإلمام بمناهج البحث العلمي المختلفة والقواعد الواجب اتباعها بدءاً من تحديد مشكلة البحث العلمي ووصفها إجرائياً مروراً باختيار منهجية محددة لجمع البيانات المتعلقة بها وانتهاء بتحليل البيانات واستخلاص النتائج من الأمور الهامة في كل العلوم النظرية والتطبيقية.

ومن الله التوفيق

د.مجيد الحمداني